الشاب المهاجر وبعض الاضطرابات النفسية الناتجة عن ظاهرة الهجرة

الباحثة كنزة الساوري
باحثة في سلك الدكتوراه، جامعة عين الشق، الدار البيضاء
المغرب

تقديم:

تحتل قضية الهجرة، مكانا بارزا في العلاقة بين البلدان المتقدمة والأخرى النامية فيها، نظرا لارتباطها بالعديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ فسوء الأحوال السياسية والاقتصادية يدفع الأفراد للهجرة من الدول النامية إلى تلك المتقدمة.

كما تشكل قضية الهجرة غير الشرعية أخطر القضايا الاجتماعية، التي لا تزال تؤرق المجتمع الدولي وهي مشكلة شديدة الحساسية لكونها تمس جميع شرائح المجتمع الدولي، بحيث أصبحت الظاهرة لا تقتصر على الشباب وخاصة الذكور منهم، بل ارتفع خط بيانها إلى فئة الإناث، وتعد الهجرة غير الشرعية ظاهرة عالمية موجودة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الاتحاد الأوروبي، أو الدول النامية بآسيا كدول الخليج العربي ودول المشرق العربي، وفي أمريكا اللاتينية، وفي أفريقيا.

وهناك العديد من الدراسات والتقارير الصادرة عن هيئات ومنظمات دولية تشير إلى خطورة الهجرة غير الشرعية، وفي ذات الوقت تنامي هذه الظاهرة بصورة باتت تؤرق المجتمع الدولي، حيث يشير تقرير صدر مؤخرا عن منظمة الأمم المتحدة عن دوافع وأسباب الشباب لهذه الهجرة، إلى أن أسباب الهجرة الجماعية غير الشرعية يعود إلى ازدياد أعداد الشباب في العالم الثالث، وتناقص وتدهور فرص وأوضاع العمل، بالإضافة إلى زيادة حدة الفوارق بين الدول الغنية والفقيرة.

وتظل الهجرة غير الشرعية من المشكلات التي باتت تهدد العديد من الدول، حتى ولو تضاءلت أعداد المهاجرين غير الشرعيين على أراضيها، فنجد مثلا أن نسبة المهاجرين غير الشرعيين لا تزيد عن نسبة 4.9% من إجمالي الأيدي العاملة في الولايات المتحدة، إلا أن مشاكلهم تؤرق الأمريكيين كثيرا. [1]

وللهجرة غير الشرعية العديد من الآثار السلبية، من بينها الآثار الأمنية والسياسية من جراء الهجرة غير الشرعية، ما يهدد سيادة الدول المستقبلة ووجودها الفعلي، كما أن للهجرة آثاراً اقتصادية خاصة الجهة دول الإرسال أكثر من دول الاستقبال، ولا يفوتنا أن نشير أيضا للآثار الاجتماعية الخطيرة المتنوعة المترتبة على الهجرة، ومن بينها حالة إدماج المهاجرين ومدى الصعوبات التي تواجهه والتكيف مع مجتمعهم الجديد في الدول المستقبلة، ويزداد الأمر تعقيدا في حالات الهجرة غير الشرعية، حيث لا يحمل المهاجر السند القانوني لوجوده في الدولة التي هاجر إليها، كما أن المجتمع ينظر إليهم على أنهم لصوص أو متطرفون، ومما يساعد على انتشار هذه النظرة الخطاب الإعلامي لهؤلاء المهاجرين خاصة في الدول الأوروبية حيث يشيع عنهم صورة سيئة تحول دون تواصلهم مع مجتمعات الدولة المستقبلة، حيث يتم الخلط بين الإجرام والهجرة والتطرف.

ملخص الدراسة:

La question de la migration occupe une place importante dans les relations entre les pays développés et les pays en développement, étant donné son lien avec de nombreux aspects politiques, économiques et sociaux. Les mauvaises conditions politiques et économiques poussent les gens à migrer des pays en développement vers les pays développés.

La question de l'immigration clandestine est également l'un des problèmes sociaux les plus graves qui continuent de préoccuper la communauté internationale. Il s'agit d'un problème très sensible car il touche tous les segments de la communauté internationale, de sorte que le phénomène ne se limite plus aux jeunes, L'immigration clandestine touche principalement les hommes, mais elle s'est plutôt étendue aux femmes. L'immigration clandestine est considérée comme un phénomène mondial présent dans les pays développés tels que les États-Unis d'Amérique et certains pays de l'Union européenne, ou dans les pays en développement d'Asie tels que les États du Golfe et dans les pays du Levant, en Amérique latine et en Afrique.

Il existe de nombreuses études et rapports publiés par des organismes et organisations internationales qui soulignent le danger de l'immigration illégale, et en même temps, ce phénomène se développe d'une manière qui est devenue une préoccupation pour la communauté internationale, comme le montre un récent rapport publié par les Nations Unies. Les Nations Unies sur les motifs et les raisons pour lesquelles les jeunes migrent indiquent que les raisons de la migration massive L'immigration illégale est due au nombre croissant de jeunes dans le tiers monde, au déclin et à la détérioration des opportunités et des conditions de travail, en plus de l'écart croissant entre pays riches et pays pauvres.

مفاهيم الدراسة:

الشباب المهاجر، الهجرة، اضطرابات، نفسية، هجرة.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تناولته ومن خلال إشكاليتها وفرضياتها المطروحة، ويمكن أن نبرز أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- كثرة المهاجرين الشباب خاصة في المجتمع المغربي.
- هتمامنا بظاهرة الهجرة غير الشرعية والإدمان عليها وما يصحبها من تغيرات سيكولوجية لدى الشاب المهاجر.
- كوني شاهدت شباب يهاجرون داخل الحرم الجامعي.

- ❖ محاولة إبراز أثار الهجرة غير الشرعية وما يصحبها من مشاكل نفسية وصحية.
- ❖ محاولة تسليط الضوء على مختلف الاضطرابات النفسية التي يعيشها الشاب المهاجر والتي يمكن للهجرة أن تلعب دورا كبيرا في تأثير على نفسيته.

الإشكالية:

تعتبر الهجرة بصفة عامة ظاهرة من الظواهر القديمة بالمجتمعات المختلفة وهي تعتمد في أساسها على العنصر البشري ولها الفضل في بناء الكثير من الدول والمجتمعات في عالمنا هذا، كما لها دور محوري مهم في دعم الإثراء الحضاري والتواصل الاجتماعي والثقافي بين كافة المجتمعات إضافة إلى إسهامها وبشكل مؤثر في الجوانب السياسية والاقتصادية في كافة المجتمعات بمختلف طوائفها وأعرافها وجنسياتها.

إن هذه الظاهرة أخذت مسارا خطيرا في السنوات الأخيرة وأصبح تعاطيها منتشرا في جميع الأوساط وبين مختلف الأعمار، فلم تعد تخص فئة دون الأخرى، فكل الفئات العمرية معينة لتجريب المخدرات.

ومن هذا المنطلق جاءت صياغة الإشكالية العامة لهذه الدراسة كما يلي:

ما هي سمات شخصية الشاب المراهق؟ وما هي بعض الاضطرابات النفسية الناتجة عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية والتي جاءت صياغتها كالتالي:

- هل الشخص المهاجر يكون أكثر اكتئابا من الشخص غير المهاجر؟
- هل تعاطي للهجرة غير الشرعية رهينة بثمل الذات بشكل إيجابي؟
- هل الشخص المهاجر يكون أكثر قلقا على مستقبله من الشخص غير المهاجر؟

فرضيات الدراسة:

تتلخص فرضيات الدراسة في:

- ❖ الشخص المهاجر يكون أكثر اكتئابا من الشخص غير المهاجر.
- ❖ الهجرة غير الشرعية تجعل الشخص يمثلها بشكل سلبي.
- ❖ الشخص المتعاطي للهجرة غير الشرعية يكون أكثر قلق على مستقبله.

أولا: التعريف الاجرائية لمفاهيم الدراسة:

1.مفهوم الهجرة:

يقر المبدأ العام "أن الكائن الحي عليه أن يعدل من احتياجاته وخصائصه ليتوافق مع البيئة، أو أن يعدل من البيئة لتتفق وإشباعه حاجاته، أو أن يهاجر إلى بيئة أخرى أكثر ملائمة"، في إطار هذا المبدأ يمكن القول أن الإنسان يتميز بقدرته على التنقل والتحرك سعيا وراء السياق البيئي الملائم، وهو ما يسمى بالهجرة؛ هذه الظاهرة التي تعد من الظواهر الاجتماعية المشروعة التي عرفتها البشرية.

ويعرف "عمر حمادة" الهجرة بقوله: "أنها عملية انتقال أو تحول أو تغير فيزيقي لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا الإقامة فيها إلى منطقة أخرى في حدود البلد الواحد أو من منطقة لأخرى خارج حدود البلد، وقد تتم هذه العملية بإرادة الفرد أو الجماعة أو بغير إرادتهم.[2]

وتعرف في علم السكان بأنها "ظاهرة جغرافية تعني تغير دائم لمكان الإقامة ." [3]ويرى الباحث "تريبالا": "أن للهجرة مفهومان أحدهما عام يعني الحركة أو الفعل الآتي في الانتقال إلى دولة أخرى غير الدولة الأصل، والآخر خاص يعني دخول أشخاص يقيمون لفترة فوق إقليم دولة غير دولتهم [4].

هذا وتعتبر الهجرة عمل فردي اختياري حر، ينص القانون الدولي كما هو معروف على حق كل شخص في الرحيل عن بلده، ولكنه بالمقابل لا يعطيه الحق في أن يدخل بلدا آخر لا يتمتع فيه بحق المواطن، فلحكومة كل بلد الحق السيادي في تقرير الذين تسمح لهم بدخول أراضيها من غير مواطنيها، وتضع كل دولة سياسات ونظم الهجرة القانونية إليها فلا جدال في أن سياسات الهجرة وقوانينها هي من أعمال السيادة الوطنية للدول.

2.مفهوم الهجرة غير الشرعية:

لقد تطور مفهوم الهجرة غير الشرعية في الأدبيات القانونية الأجنبية، فبعد أن كان يطلق عليها في بداية الأمر الهجرة غير الموثقة Undocumented migrationتطور المفهوم ليصبح الهجرة غير الشرعية.

يعرف "محمد سمير مصطفى" الهجرة غير الشرعية بأنها " ولوج أو دخول العمال إلى بلد ما دون وجود أوراق ثبوتية أو تصاريح دخول، وهذا عادة ما يتم إما عن طريق تهريب البشر، أو عن طريق المهاجر نفسه، أو سمسار يسهل للمهاجر عن طريق الهجرة غير الشرعية سبيل الوصول إلى الشواطئ، لينتهي دوره عند هذا الحد[5].

لكن ما يؤخذ على هذا التعريف أنه حصر ظهارة الهجرة غير الشرعية في فئة العمال فقط، بينما الواقع يشير إلى أن الغالبية العظمى منهم من البطالين بالإضافة إلى حصره الهجرة فقط عن طريق البحر، بينما هناك أشكال أخرى للهجرة غير الشرعية في شكلها البري والجوي.

وهناك من يعرفها على أنها التواجد غير الشرعي في بلاد الغير بدون وثائق رسمية أو تأشيرة تسمح للفرد بالبقاء في ذلك البلد سواء لفترة قصيرة أو طويلة، وسميت كذلك برحلة الموت حيث أن الشخص يواجه الموت في أقصى احتمالاته[6].

3.الحرقة:

لحرقة بتضخيم القاف بمعنى الإحراق وهي كلمة شعبية وتسمى كذلك الهربة بمعنى الهروب والتخفي أو الهدة بمعنى أخذ موقف غير قابل للتراجع، وهي كلها ألفاظ عامية أكثر استعمالا لدى الشباب المغاربي وهي تعني إحراق كل الوثائق حيث يصبح المهاجر السري بدون هوية[7].

كما أنه مصطلح مطابق ومرادف للهجرة غير الشرعية ويقصد به قطع كافة الروابط التي تشد الفرد لبلده وأهله، على أمل أن يجد هوية جديدة في بلدان الاستقبال. وهذه الكلمة مأخوذة من "حرق" ويتضح جليا أنه يستمد دلالته من النار وتدل على الانتحار الذاتي والحراقة لا يعيرون للحواجز الجمركية وللحدود أية أهمية بل منهم من يحرق كل الأوراق الشخصية من أجل إتلاف كل الأدلة على هويته حتى لا يتم التعرف عليه[8].

ثانيا: الأثار النفسية للهجرة:

1. صدمة الاستئصال الثقافي:

إن للهجرة خصوصياتها وميزاتها التي قد تتجاوز كل الاعتبارات، فمغادرة البلد الأم تشكل بحد ذاتها، صدمة نفسية كبيرة، وخاصة إذا كانت الفروق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كبيرة بين البلد الأم والبلد المضيف. بمثل الفروق بين البلدان العربية والبلدان الأوروبية مثلا. فما إن يصل المهاجر إلى البلد الأوروبي. حتى يشعر بأن كل شيء قد تغير بالنسبة غليه. الثقافة والعادات والتقاليد والمعايير وأسلوب الحياة وحتى أحاسيسه الجسدية: لون السماء والطبيعة والوقت والفصول والحرارة، والأصوات والروائح والأطعمة.واللغة وحركات الناس ونظرتها وشكلها. فأدق تفاصيل الحياة اليومية تأخذ شكلا جديدا بالنسبة إليه. هذه الفجوة بين بيئة البلد الأم وبيئة البلد المضيف. واختلاف المعايير والقيم الثقافية والسلوكيات الاجتماعية تجبر المهاجر على إعادة التعلم الوجودي" Réeapprentissage existentiel [9] وهذا ما يشكل بالنسبة إلى بعض المهاجرين نوعا من ( )Hanna Devarenne-Megasالصدمة الثقافية.

بالطبع، بعد وصوله إلى مجتمعه الجديد وفي بداية الأمر، يعيش المهاجر مرحلة انبهار بالحضارة الغربية وبالمجتمع العربي، ويمكن اعتبار هذه المرحلة عبارة عن "شهر عسل" بينه وبين بيئته الجديدة، حيث الطابع العام لهذه المرحلة هو حب الإطلاع والمعرفة والشعور بالأمان الآني، والأمال بالنجاح وتحقيق الطموحات والأحلام. إنها مرحلة الفضول والفرح والبهجة بالأشياء الجديدة، ولكن هذه المرحلة تنقضي بسرعة، بعد أشهر أو أسابيع وربما أيام قليلة، وخاصة بالنسبة إلى طالبي اللجوء، التي غالبا ما تكون طويلة ومعقدة نوعا ما، ويغلب عليها الطابع البيروقراطي، مما يزيد في تعقيدها، ويبدأ الإحساس بالصعوبات بعد أن يعي المهاجر أهمية حاجز اللغة، وصعوبات التواصل والتعبير عن الذات وفهم كل ما يحيط به وهذا يولد شعورا بالصدمة، أطلق عليها علماء النفس صدمة الاستئصال الثقافي[10] Déracinement .

2.الاكتئاب والدهانات:

غالبا ما يعاني المهاجر وخاصة في الفترة الأولى الوحدة والشعور بالعزلة الاجتماعية وبالاغتراب وصعوبات التواصل مع الآخرين. وغالبا ما يدخل في حالين من الصراع اليومي: الأولى مع نفسه من خلال حنين لماض سعيد وذكريات سعيدة يعيشها عن طريق الخيال والثانية مع الآخرين للبحث عن ذاته وتأمين حاجاته المادية والنفسية ولإثبات وجوده ويترافق هذا مع إحساس بفقدان المعايير الاجتماعية التي تعلمها بين أهله والمعالم الثقافية الاعتيادية التي تربى عليها. فانتقال الإنسان من بيئة ومجتمع يألفهما ويعرفهما ويعرف كيفية التصرف فيهما إلى مجتمع آخر يجهل قيمه وقوانينه وثقافته غالبا ما يولد لديه خويفا من المجهول ونزوحا نحو الشك والحذر من كل ما يحيط به، وشعورا دائما بالقلق والتوتر.

إذا ما استمرت طويلا حال الحنين التي ذكرناها أعلاه، وحال الحزن والقلق، ولم يستطع المهاجر الخروج منهما، فإنه يدخل في حال اكتئاب état de dépression تبدو معالمها عليه، وإن حاول جاهدا التظاهر بالبهجة وغالبا ما يكون هذا الاكتئاب انفعاليا ذا أسباب

نفسية المنشأ psychogeneتعود إلى الظروف الصعبة التي يعيشها المهاجر التي أشرنا إليها في الفقرات السابقة، وهذا النوع من الاكتئاب عصابي يرتدي صبغة الضيق النفسي والقلق الشديد مع الأرق والإحساس الدائم بالعتب، وأحيانا دون أي عنصر تقليدي للتعبير عن كتابة في المزاج أو الوجدان، كالبكاء أو التعبير الكلامي. ولكن هذا لا ينفي أنه من الممكن أن تكون أسباب الاكتئاب عضوية المنشأ endogene كما في حالات الاكتئاب الميلانخوليا Mélancolie وهو أحد أشكال الذهان الاكتئابيالهوسي [11]، ولكن يبقى هذا النوع أقل شيوعا بكثير من الاكتئاب الانفعالي.

وتعد الدهانات psychose من أهم الاضطرابات النفسية التي من الممكن أن يعانيها المهاجرون وهذه الذهانات لها ميزات خاصة ينفرد بها المهاجرون من أصول عربية وإسلامية 132. فهي تقتصر على الشعور بالاضطهاد والدونية. وتوهم المرض وانحطاط القيمة والمطالبة المتكررة بالحقوق المسلوبة سواء أكانت حقيقية أم مجرد صنيعة خيالات مضطربة. وهنا لابد من التنويه إلى أن الدراسات أظهرت أن قسما من هؤلاء المهاجرين لديهم استعدادات خاصة للمرض النفسي. ولم يكن عامل الهجرة وضغوطاتها إلا أرضية خصبة لظهور المرض.

3.الأمراض النفس / جسدية:

حال التوتر المستمر والقلق الدائم تفقد المهاجر بعضا من مناعته الجسدية والنفسية التي كان يتمتع بها في بلده الأم، وتجعله أكثر هشاشة وعرصة للأمراض النفس / جسدية Psychosomatique فترى مثلا أن كثيرا من المهاجرين يشتكون من اضطرابات النوم والشهية والهضم والمفاصل والصداع المزمن وآلام غير معروف مصدرها.

وقد لوحظ أيضا ان بعض المهاجرين يعانون خللا يصيب حركيه وديناميةالشخصية وهذا مصدره اختلال في اساليب الدفاع الأولية الموجودة اساسا في بيئتهم الأولى اي بلدهم الام ويلجؤون في نطاق الحيل الدفاعية اللاشعورية إلى التهرب من الآخرين والعزلة والانطواء لمده قصيره ومن ثم إلى الانكار فتراهم يحملون réaction formation ورد الفعل projection نالإسقاط négationالبلد المضيف واهله كل الضيق الذي يجتاح كيانهم فغالبا ما نسمع من هؤلاء ان البلد كتيب والجو بارد وممطر والناس محرومون من القيم الأخلاقية وهم باردون وفاقدون للإحساس وعنصريون ولا يحبوننا ولا يوجد لديهم علاقات اجتماعيه.. . إلخ

ورصدت الدراسات النفسية حالات كثيره من الأعراض النفس / جسديه عند المهاجرين وهي ناتجه عن مظاهر الاكتئاب التفاعلي reactif depressionالتي تتجلى في اضطرابات وسرعه دقات القلب وقروح المعدة والاثنى عشر الآلام المزمنة واضطرابات القولون والصداع النصفي، والام الكبد والمعدة. كما اشارت دراسات اخرى الى شيوع العنه الجنسية والوهن النفسي والتعب والاعراض التحولية في اوساط المهاجرين أكثر من غيرها.

ثانيا: حالات الإدمان

يعد الإدمان من الأخطار التي يمكن ان يعانيها المهاجرون بشكل كبير والمقصود بالإدمان هنا هو أي سلوك متكرر، بغض النظر عن العواقب الضارة بصحه الفرد وحالاته العقلية او حياته الاجتماعية، يحاول صاحبه التقليل منه او الابتعاد عنه، ولكنه لا يستطيع، ويرافق هذه المحاولة نوع من الغضب والمزاج السيء والحزن.

ومن مظاهر السلوك الادماني اولا الرغبة الملحة في الاستمرار به الشعور بآثاره النفسية والجسدية الإيجابية بحسب المدمن السعادة واللذة والرضا اول لتجنب الآثار المزعجة التي تنتج من عدم القيام به، وثانيا، محاوله اخفاء او التقليل من اهمية الوقت الذي يستلزمه هذا السلوك. ويمكن الحديث عن ثلاثة انواع من الادمان منتشرة في اوساط المهاجرين وهي على الشكل الآتي:

أ –ادمان وسائل التواصل الاجتماعي

ادمان الفيس بوك الواتس اب وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي يمكن اعتباره من أكثر انواع الادمان شيوعا في اوساط المهاجرين فغالبا ما تدفع حاله العزلة الاجتماعية التي يعيشها المهاجر وصعوبات التعلم اللغة والانتماء والتواصل مع الآخرين الى الهروب من العالم الحقيقي اللجوء إلى العالم الافتراضي حيث العلاقات الاجتماعية متاحه بسهوله اكثر وكما يقول بوديار لقد تحول الناس عبر الحيز الافتراضي اللامتناهي الى مجموعه من النصوص والصور والوثائق والاصوات والرسائل الوافدة ولقد احدث وسائل التواصل الاجتماعي تحولات جذريه في ملامح حياتنا اليومية التي تهاوت فيها الحدود بين ما هو محلي وما هو عالمي.

وعلى الرغم من ان هذه الوسائل فتحت افاقا جديده امام البشر اكتشاف في العالم الاجتماعي وتفعيل طاقاتهم المتوفرة وتوجيه الى البناء والابداع وزياده مجالات المعرفة وقدرتهم على تقبل الآخر وتقبل التغيير الا انها وفي نفس الوقت تشكل تهديدا قويا بتقويض العلاقات والقيم الاجتماعية فعلى الرغم من ان المهاجرة وعبر هذه الوسائل يتواصل مع غيره ويتولد ولديه شعورا لان حياه الاجتماعية غنيه وتلبيه بعض الحاجات النفسية الاجتماعية الضرورية كحاجه الانتماء الى الجماعة و الأسرة و حاجات تقدير الذات وتقدير الجماعة والاحساس بالمحبة والاهتمام الا انها سبب ايضا في عزلته وقله تفاعله مع المجتمع المدني امام نجاحه وخاصه حين تتحول الى سلوك ادماني وهكذا على سبيل المثال لا الحصر تحول الفيسبوك من وسيله اتصال الى وسيله انفصال.

صحيح ان الفيسبوك هو تقريبا النافذة الوحيدة للتواصل مع الوطن الام بالنسبة للمهاجرين وصحيح ان اختصر الزمن والمسافات واعطى فرصه التعبير للجميع وبحريه صحيح ان توفر فرصه للذكاء الجماعي على حد تعبير مصطفى حجازي المشاركة في قضايا الكون وبناء رأي عام محلي وعالمي وتشكيل جماعات ضغط لمسانده القضايا العادلة والتأثير على القرارات بشان هذه القضايا الا انه يبقى عالم افتراضي من خلف الشاشة والحقيقة الفيسبوكية هي حقيقه افتراضيه مما يفتح الابواب لكل اشكال الاسقاط والاستعارة والتمثيل وحب الظهور و تسويق الذات والانكار والتسويق والارتكاس والانتقائية في اختيار المعلومات ولقد تحول الفيس بوك الى وسيله للهروب ورهاب اجتماعي والاغتراب النفسي وبات هو البيت و المأوى هو الصديق و الأسرة ومنصة التعليم والعب و هو الفرد والمجتمع.

الخطير في استخدام الفيس بوك بسهولة هو تحوله الى السلوك الادماني وخاصة في حالة الملل والفراغ والوحدة وهكذا أصبح بعض المهاجرين يقضون ساعات طويله في استخدام الانترنت بطريقه لافته للنظر مع ما ينطوي على ذلك في كثير من الأحيان من حاجه الى العزلة عن الآخرين خلال وقت الاستخدام وهذا ما أطلق عليه الباحثون في هذا الصدد ما يعرف بانطوائية الكمبيوتر .الاستخدامات الفيسبوك أهداف متنوعة بعضها واع وآخر لا واع هناك من يستخدم لتحقيق اغراض علميه لنشر أفكار واراء ثقافية وسياسية واخر لأغراض الترفيه والتسلية وهو ما يبدو الأكثر شيوعا هناك من يستخدم للدردشة في امور خاصه مع ذكر تفاصيل مما يؤدي أحيانا إلى فضائح فيسبوكية . وهو ايضا مكان لتفريغ الطاقات والهموم ومتنفس لحالات الاكتئاب التي تلازم عددا من المهاجرين ولكن هذا المتنفس الافتراضي انتقل في دورة انعكاسية من تفريغ الشحنات السلبية ومعزز سلبي للحالات الاجتماعية كالطلاق العاطفي والتفكك الأسري والاغتراب والشك وعدم الثقة والنبذ الاجتماعي.

فهناك على الجانب الآخر من يستخدم الفيس بوك للسرقة والنصب والاحتيال او لنشر الاشاعات والاكاذيب وسيله سهله لتشغيل وتشويه السمعة والاضرار بجهة معينه او للتجسس وتجنيد المخبرين.

ربما احدى الظواهر التي تنظر على الفيسبوك وهي أكثر من غيرها ظاهرة النجومية السريعة و النجاح السهل الذي يدفع ببعض المهاجرين الى الافراط في السرعة في استعراض الانجازات وتضخيمها من خلال عمليات الاستعارات الاختزالية الاسقاطات النفسية و عمليات التجميل غير المباشرة في ما ينشرونه عن اخبارهم في بلاد المهجر وكذلك صور يكون الهدف الحقيقي من ها هو ايهام الآخرين بالنجاح والابداع وبهذه الطريقة تنهال عليهم المباركة والتبريكات والاطراءات والمبالغات في المجاملات (ربما بمحض خبر نجاح في امتحان اللغة

للمبتدئين أو القبول الجامعي، فان بعض التعليقات تصف صاحب الخبر بالمبدع والمتميز حتى اصبح بعضهم يعتقد نفسه انه شخصيه معروفه بكينونتها حضورها وشهرتها، وبدانا نرى مؤخرا استخدام كلمات مثل كاتب وشاعر ومبدع ومفكر او كيفما شاء وكيفما كان اما في الحقيقة فان هذه النجومية الافتراضية ليست سوى عمليه استبدال واقع فارغ مؤلم بواقع افتراضي هو مزيج من الواقع والخيال. وهنا تبرز أكثر ملامح الانفصام التي يعيشها المهاجر المدمن على مسرح الفيسبوك بحيث يكون له شخصيتان واحده حقيقيه واخرى مختلفة عنها ربما بدرجه كبيره وتشير الملاحظات جميعها الى انه بمجرد غياب هؤلاء النجوم عن هذا المسرح الافتراضي تغيب تلك النجومية وتلك الاعتبارات من شهره وغيرها. انها نجومية الوجبات السريعة التي لا تعمل طويلا شاتها في ذلك شان كل ما هو سريع.

القاسم المشترك بين هذه الاستخدامات للفيس بوك كلها موسيقى هو ثقة عامه الناس بهذا الموقع الاجتماعي واستبعادهم او بدونه احتمالات التعرض للخطر من خلاله بحيث انهم يدعون تفاصيل عن حياتهم ومعتقداته ومشاريعهم وعلاقاتهم وينسون انه على الجانب الآخر من يمكنه ان يستغل هذه التفاصيل للأضرار بهم او بغيرهم.

ب الكبت الجنسي وادمان الافلام الإباحية

تبدو هذه الظاهرة بصورة جلية عند الشباب الاعزب من المهاجرين، حيث ان قسما كبيرا منهم كان لديه صوره مبالغ فيها عن الحرية الجنسية في دول اوروبا ولكنه صدم بالواقع المخالف جدا للمتخيل. ولقد أسهم الى حد كبير بتشكيل هذه الصورة عن المجتمع الاوروبي مهاجرون اخرون فاشلون سبق وهم الى الغربة، ولكن لكي يغفر لهم الاجتماعي وبحياتهم العاطفية كانوا يتبعون بإعطاء هذه الصورة التي تتجاوز حدود الواقع الملموس، سيمون الآخرين بغزواتهم الجنسية، ويسردون لهم وقائع وهميه رائعه عن حياة اللذة التي يعيشونها في ارض المهجر، ويقارنها بشكل او باخر بأحوالهم المعيشية في بلدهم الام.

ولكن ما ان يصل الشاب المهاجر الى البلد المضيف حتى يكتشف بسرعه ان الجنس السريع والسهل الذي سمع كثيرا عنه هو مجرد كذبه وليس أكثر من هو امات جنسيه Fantasme، فتتأزم وصحيح ان الهوامات الجنسية الخيالات والفنتازيا هي بحد ذاتها اساس الحياة الحميمية، ويمر الانسان بها في كل مراحل الحياة، ولكنها حين تنفلت من عقالها تدفع ببعض الى الكذب وتخيل القصص.

والمأزق الذي يقع فيه هؤلاء الشباب هو ان المجتمع الأوروبي بصوره عامه هو مجتمع مثير للرغبات الجنسية ومنفتح ولكنه في الوقت نفسه بعيد كل البعد عنهم، فيلجا قسم منهم قسرا إلى الافلام الإباحية لتفريغ الطاقة الجنسية التي تسلطت عليها الظروف الخاصة المهيجة والمثيرة المشاعر والحواس.

وإدمان الافلام الإباحية يشبه الى حد كبير الادمان الكحولية حيث يتم افراز كميات من الدوبامين في الدماغ وغيرها من المواد الطبيعية في الجسم نتيجة التعاطي، وهذا يمنح احساس بالنشوة والسعادة ولكن الدماغ يتكيف مع هذه الكمية من الضمان وغيرها من الافرازات الكيماوية وهو ما يدفع الحصول من جديد على المزيد منها لبلوغ النشوة الأمر ذات وبالنسبة للأفلام الإباحية التي غالبا ما تحقق النشوة السريعة للمدمن عليها وتدفع بالتالي الى قضاء وقت أكثر في مشاهدتها وهو ما يطلق عليه العلماء بالإدمان المتنامي.

لعل اهم التأثيرات السلبية لهذا النوع من الادمان هو الانسحاب التدريجي للمدمن خارج واقعيه والتوقف عن ممارسه بعض النشاطات الاجتماعية والثقافية المعتادة الدخول في حاله من التقوقع على الذات والتعب الجسدي وتأنيب الضمير وقد يؤدي ادمان مشاهده الافلام الإباحية إذا ما تفاقمت الحال الى انخفاض في الرغبة بالطعام عدوانيه تجاه المجتمع المضيف الذي يتحمل براي المدمنين طبعا مسؤوليه هذه الحال من الحرمان والاشباع الغير الطبيعيين.

خاتمة:

واخيرا في بحثنا هذا عن الآثار النفسية للهجرة مره اخرى ان هذه الآثار والاضطرابات النفسية المرافقة لها ربوات التي يواجهها المهاجرون تختلف من حيث شدتها ونوعها بين مهاجر واخر وذلك تبعا لعدد من العوامل التي ذكرناها في بداية هذا الفصل من الدراسة بعض المهاجرين سيجد نفسه في كل سطر مكتوب في هذا البحث واخرون في جزء منه وربما سيشعر قسم بانه بعيد كل البعد عما كتب.

وفي الأحوال كلها لاحظ المعالجون و الاطباء النفسيون والباحثون ان اغلب الاضطرابات النفسية التي يعانيها المهاجرون تحدث في مرحله التأقلم اي في السنه او السنتين الأوليين وربما ثلاثة بعد وصولهم الى ارض المهجر وقد سميت الفترة الحرجة للتأقلم وهي تتميز بشده اعراض القلق و مظاهر الاكتئاب والتوتر كما اشار هؤلاء العلماء الى ان معظم الآثار النفسية للهجرة والاضطرابات النفسية المرافقة لها تكون اعراض طارئه قابل للشفاء بسرعه وهي الى حد كبير الناتجة عن العلاقات الوحدانية بالنسبة للمكان والزمان وستزول بمجرد أن يجد المهاجر هذه العلاقات.

الهوامش:

[1] من أهم الاتفاقيات الدولية التي اهتمت بموضوع الجريمة والهجرة اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة، والبروتوكولان المكملان لها، وهما بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين وآخر لمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والأطفال تم فتح باب التوقيع على الاتفاقية والبروتوكولين المكملين لها حتى ديسمبر 2002.

[2] حمادة مصطفى عمر 2008، دراسات في علم السكان الإسكندرية دار المعارف الجامعية. ص 171.

[3] كرادشة مدير عبد الله 2010، علم السكان الديمغرافيا الاجتماعية (ط.(1) اربد عالم الكتب الحديث ص. 155.

[4] غربي محمد 2012، التحديات الأمنية للهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط الجزائر نموذجا. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (8) 557 ص 52.

[5] حافظ سحر مصطفى 2013، الهجرة غير الشرعية، المفهوم والحجم والمواجهة التشريعية مجلة هرمس (2 (2) ص 47.

[6] صطفى محمد سمير 2010، الهجرة غير الشرعية الموت من أجل الحياة. مجلة بحوث اقتصادية عربية (48) (49) 106 القاهرة، ص. 108.

[7] الدهيمي، الأخضر عمر 2010، دراسة حول الهجرة السرية في الجزائر بحث مقدم في ندوة التجارب العربية في مكافحة الهجرة غير المشروعة، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ص 7.

[8] ربي محمد 2012، التحديات الأمنية للهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط الجزائر نموذجا. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (8) 557، ص 52.

[9] Hanna DevarenneMegas, Psychologie et insertion Sociale des migrant polonais en France.

[10] A.Yahyaoui, Exil et déracinementn thérapie familiale des migrant (Paris: Dunod,) 2010.

[11] Petit Larousse de la psychologie, 205, P. 204.